قلوبُ العارفين لا تفرح إلا بسماع بسم الله، وكروبُ الخائفين لا تبرح إلا عند سماع بسم الله... هذه بعضُ آثار البسملة بين الجنود، فما ظنُّكم بالسبع الطوال والمئين والمثاني والمُفصَّل إذا رتَّلها المجاهدون؟!، عندئذ لا نرى مع الله أحداً.

16- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85].

نزلت سورة القَصَص على النبي ﷺ وهو في طريق الهجرة إلى المدينة، ولو تأمَّل القارئ السورة واستحضر حالة النبي ﷺ، لخرج بعوائدَ إيمانيةٍ ويقينيةٍ عظيمة، ومن الجميل أن تعلم نهاية الطريق قبل أن تسلكه، فالنبي ﷺ يخرج من مكة ليس له مأوى ولا جيش ولا مؤنة، سيذهب للمدينة ليبدأ من جديد بناء دولة جديدة، لكنَّه كان على يقينٍ أنه سيُفلح في مشروعه، لأنَّ الله وعده وهو في طريق الهجرة أنه سيعود إلى مكة، قال أهل التفسير في قَوْلِهِ تعالى: (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) أي إِلَى مَوْلِدِكَ بِمَكَّةَ[1].

لقد هُجِّرنا من أرضنا، وكنتُ على يقين أنَّ الظالمين لا دوام لهم في أرض الخير، وأنهم معاقَبون لا محالة، واستحضرتُ عندئذ آيتين:

الأولى/ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 76]، ومعناها لا يمكثون بعدك إلا قليلاً، وفي قراءة متواترة لا يلبثون (خلفك) إلا قليلاً[2]، وقد ظننتُ بسبب كاف المخاطب أنَّ الكلام مُوجَّهٌ للنبي ﷺ فقط، لكنْ أعلمتني الآيةُ التي بعدها أنَّ هذه سنةٌ كونيةٌ للصالحين في كل زمانٍ ومكان، فقال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:77].

(1) تفسير ابن أبي حاتم (9/ 326).

(2) اخْتَلَفُوا فِي (خِلَافَكَ)، فَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَأَبُو بَكْرٍ (خَلْفَكَ) بِفَتْحِ الْخَاءِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ. النشر في القراءات العشر (2/ 308).